●الوضع في الحديث وأثره في التفاسير

Cüneyt EREN••

ÖZET

Bu çalışma, IIUM (Malezya Uluslararası İslam Üniversitesi), IIRH Fakültesi tarafından 1998 yılında düzenlenen Hadis Sorunları seminerlerinde takdim edilen tebliğdir. Çalışmada, mevzû hadis konusu ile onun Kur'ân ayetlerinin yorumlanmasındaki rolünü ele almaktadır. Bu bağlamda mevzû hadisin tarihi gelişimi, mevzu sebepleri, mevzu konuları ile ayet yorumlarına etkisi incelenmiştir.

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وبعد:

فالموضوع لغة اسم مفعول من وضع الشيء يَضَعَه بالفتح وضعاً حطّه أسقطه،[2] وقال الحافظ ابن دحية: الموضوع الملصق وضع فلان كذا ألصقه به واصطلاحا هو الحديث المختلق المصنوع [3] أو هو ما كان الطعن فيه بكذب الراوي.[4]. وهو شر الأحاديث الضعيفة والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر بعد اغتيال الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه وافتراق الأمة الإسلامية إلى شيع وأحزاب والتباس الحق بالباطل. ويعتبر ائتمارا على الإسلام والمسلمين، وكان من العوامل التي ساعدت على الوضع عدم تدوين السنة وانتشار الصحابة في البلاد المفتوحة. فموضوع البحث الذي سنتناوله هو أثر هذا الوضع في التفاسير حصراً لذا لا نتعمق في أسباب الوضع والجذور التاريخية له إنما نذكر هنا ما يفيد الغرض الذي نحن بصدد تحقيقه، والأسباب الباعثة على الوضع هي بإيجاز:

1. تكريس مسلمة أهل الكتاب بعضاً من مآثرهم وتقاليدهم المتوارثة.

2. الحقد على الإسلام والمسلمين.[5]

3. تبرير الأحزاب السياسية لمواقفها بإيجاد السند الشرعي لتلك المواقف أو المذاهب العقائدية في تبرير ما استقرت عليه من قناعات مبدئية .[6]

• تم تقديم هذا المقال في سمينر مشاكل الحديث الذي عقد من قبل كلية معارف الوحي بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا سنة 1998.

•• استاذ مساند في جامعة 9 أيلول كلية الإلهيات قسم اللغة العربية و آدابها.

[1] لسان العرب، للعلامة أبي الفضل إبن منظور، 396/8، دار الفكر للنشر والطباعة، بيروت.

[1] المعجم الوسيط، ط.2، ص. 1040/2 تتريه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة/ لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني/دار الكتب العلمية ، بيروت، 1/ 5.

[1] تهذيب مصطلح الحديث/ د.جاد الرب أمين عبد المجيد/الكتبة الأزهرية للتراث، 1996، ص.41.

[1] انظر البداية والنهاية لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت: 122/7

[1] انظر الموضوعات لابن الجوزي، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، ط:2، 1983: 309/1

[1] انظر أحاديث موضوعة في فضائل أئمة المذاهب في المصدر السابق 38/2، في الكامل في ضعفاء الرجال للإمام الحافظ ابن عدي الجرجاني، 180/1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 3.

[2] لسان العرب، للعلامة أبي الفضل إبن منظور، 396/8، دار الفكر للنشر والطباعة، بيروت.

[3] المعجم الوسيط، ط.2، ص. 1040/2 تتريه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة/ لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني/دار الكتب العلمية ، بيروت، 1/ 5.

[4] تهذيب مصطلح الحديث/ د.جاد الرب أمين عبد المجيد/الكتبة الأزهرية للتراث، 1996، ص.41.

[5] انظر البداية والنهاية لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت: 122/7

4. التعصب للمذاهب.[7]

5. النوازع العصبية و القومية التي أثارها الشعوبيون .[8]

6. الترغيب في العبادات.[9]

7 . التقرب إلى الحكام.[10]

جهود العلماء في الكشف عن الوضع

وأما جهود العلماء في الكشف عن الوضع فقد بذلوا جهوداً علمية مضنية وجادّة في تنقية الأحاديث وبيان صحيحها من سقيمها. وصنفوا كتبا في الوضاعين والضعفاء، وأسمائهم وكناهم، وأحوالهم، وصنفوا في الأحاديث الموضوعة، وتنقية المدونات الحديثة منها. هذا وقد وضع أئمة الحديث من الضوابط المميزة في تحاشي الأحاديث السقيمة والاستشهاد بالأحاديث الصحيحة. وقد رحل علماء الحديث إلى البلدان للتأكد من الحديث والتثبت من صحته أو وضعه، وإن أردنا أنْ نلخص ضوابط معرفة الموضوع فإننا نقول:

أولا- فيما يتعلق بالراوي

1. يعرف الوضع بإقرار واضعه أو معنى إقراره أو قرينة في الراوي أو المروي.[11]

2. أن تتصل براوي الحديث قرينة من تدل على وضع الحديث.[12]

3. الشهادة القاطعة على واضع الحديث من عدلين فأكثر.[13]

ثانيا- فيما يتعلق بالرواية

1. أن يكون مناقضا لنص القرآن والسنة المتواترة، والإجماع القطعي.[14]

2. أن يكون الحديث مخالفا لصريح العقل، حيث لا يقبل شيء من ذلك التأويل.[15]

3. ركاكة اللفظ والمعنى للحديث، ومما يدل على ركاكة المعنى الوعيد الشديد على الأمر الصغير، أو الوعد العظيم على الفعل اليسير.

4. أن يكون في المتن ما يدل على مقاربة الشخص في المقام لنبي من الأنبياء، كأن يقول: وأعطي ثواب نبي أو نبيين ونحوهما.[16]

ومن أهم الكتب المؤلفة في الموضوعات

1. الموضوعات لابن الجوزي، وهو الشيخ الحافظ جمال الدين أبو الفرج المشهور بابن الجوزي القرشي التيمي البغدادي المتوفى سنة 597هـ.[17]

2. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للسيوطي، وهو أبو الفضل جلال الدين الأسيوطي الشافعي المتوفى سنة 855هـ.[18]

---

[6] انظر الموضوعات لابن الجوزي، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت، ط:2، 1983: 309/1

[7] انظر أحاديث موضوعة في فضائل أئمة المذاهب في المصدر السابق 38/2، في الكامل في ضعفاء الرجال للإمام الحافظ ابن عدي الجرجاني، 180/1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 3.

[8] انظر الموضوعات: 111/1، والكامل، 559/2.

[9] انظر الموضوعات: 41/1، 240/1-241، والميزان للذهبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 141/1

[10] انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، 324/12، 453/13.

[11] تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، للإمام السيوطي، ص. 178-179، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، 1972م، ط: 2.

[12] ابن الصلاح، ص. 79.

[13] تنزيه الشريعة، ص. 8.

[14] تدريب الراوي، ص179، وشرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، للإمام ابن حجر العسقلاني، ص47، مكتبة الغزالي، دمشق، ط/2، 1404هـ-1995م.

[15] تنزيه الشريعة، ص. 6.

[16] تنزيه الشريعة، ص. 9.

[17] انظر كتاب البداية والنهاية، 28/13-30.

[18] انظر مقدمة كتاب تدريب الراوي، ص. 182.

تنزيه الشريعة لابن عراق، وهو أبو الحسن سعد الدين ابن عراق الكناني، المتوفى سنة 963هـ.[19]

الوضع في التفسير :

المراد من الوضع في التفسير هو تفسير الآيات القرآنية بأحاديث موضوعة ، وأكثر ما وقع الوضع في التفسير بالمأثور حيث أن إدخال الوضع في هذا النوع من التفسير أسهل من التفسير بالرأي الذي لا يعتمد كلياً على الأثر. وهذا لا يعنى عدم وجود الوضع في التفاسير بالرأي، فمثلا نجد في تفسير الكشاف الذي يعد من التفاسير بالرأي والبيضاوي وأبي السعود كثيراً من الأحاديث الموضوعة في فضائل السور والآيات. ولا نبالغ إن قلنا أن أكثر ذوي الأهواء كذباً هم الشيعة لأن من مقومات عقيدتهم التقية،[20] والتقية نوع من الكذب فتساهلوا في التقية حتى شملت أتفه الأمور. فحفلت كتبهم بالأكاذيب[21]

ومن المشتهرين في الوضع في التفسير مقاتل بن سليمان (ت 150 هـ) وتفسيره فيه آراء تفسيرية لا بأس بها. ولكن كثيراً من هذه الآراء ينتحل لها أسانيد محاولاً إثبات صحتها وقوة ما جاء فيها عن طريق نسبتها إلى أحد أئمة التفسير من الصحابة والتابعين [22]ونسبه ابو حاتم إلى أنه استقى علومه بالقرآن من اليهود والنصارى وجعلها موافقة لما في كتبهم [23]

وتبعهم في هذا الوعاظ، وبعض الزهاد، الذين وضعوا في فضائل السور والآيات أحاديث حتى لا ينصرف الناس عن القرآن إلى الحديث والفقه .

قال بعض هؤلاء الجهلة:نحن ما كذبنا عليه، إنما كذبنا له! و هذا من كمال جهلهم، وقلة عقلهم، وكثرة فجورهم وافترائهم، فإنه عليه الصلاة والسلام لا يحتاج في كمال شريعته و فضلها إلى غيره" [24].

واشتهر في هذا نوح بن أبي مريم . قال ابن الصلاح (577 هـ): (وروي لنا عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم أنه قيل له: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة فقال: رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة(150هـ) ومغازي محمد بن إسحاق(151هـ) ، فوضعت هذه الأحاديث حسبة) [25]

والواقع إن الوضع يوجد غالباً في كل تفسير بالمأثور ونورد الأمثلة التالية المستقاة من التفاسير لنبيّن أهمية هذه القضية وخطورتها في نفس الوقت ولا نريد أن نعرض لكل كتب التفسير فذلك أمر يطول وإنما نكتفي بذكر بعض الكتب كأمثلة تعطينا فكرة واضحة عن خطورة الموضوع.

وقبل استشهادنا بالأمثلة نذكر المواضع التي وقع فيها الوضع في كتب التفسير لقد وضعت الأحاديث الموضوعة في كتب التفسير في المواضع التالية:

1. في فضائل السور .
2. في أسباب النزول .
3. في القصص القرآنية .
4. في القراءات .
5. وفي العقيدة

ونورد الآن الأمثلة في الوضع لكل موضوع من المواضع المذكورة

---

[19] نظر المرجع السابق، ص. 183.

[20] التقية : كما عرفها شيخ الشيعة الشيخ المفيد هي: كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مخالفتهم بما يعقب ضررا في الدنيا والدين/ انظر : الشيخ المفيد :(ت/418هـ) "تصحيح عقائد الشيعة الإمامية" ص. 66، (تبريز 1771هـ).

[21] أثر التطور في التفسير في العصر العباسي، ص. 112، مساعد مسلم عبد الله، مؤسسة الرسالة، 1984.

[22] مناهج المفسرين، ص. 74، مساعد مسلم، دار المسلم، الرياض، 1994م.

[23] وفيات الأعيان، 568/2.

[24] الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير، لأحمد محمد شاكر، دار الفيحاء ،دمشق،ص 84.

[25] التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، للحافظ زين الدين العراقي، ص. 132، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:2، 1984م.

الوضع في فضائل السور والآيات:

من الموضوعات الواردة في كتب التفسير ما يتعلق بفضائل السور.

لقد وضعت بعض الأحاديث في فضائل السور والآيات وقصد واضعوها ترغيب الناس في قراءة القرآن وزعموا أن في ذلك حسبة إلى الله تعالى [26] أو لتكون أدعى إلى عناية القارئ وتنشيطه .

مثلا في تفسير الثعلبي[27]:

عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك : ما ذكره في صدر سورة هود قال، وعن أبي بن كعب، قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق نوحاً، وهوداً، وصالحاً، ولوطاً، وموسى). وفي صدر سورة يوسف قال: وعن أبي بن كعب، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (اقرأوا سورة يوسف، فإنه ما من مسلم تلاها وعلمها أهله إلا هون الله عليه سكرات الموت ، وأعطاه القوة أن لا يحسد أحداً) [28]

وتارة نجد عند الزمخشري عددا لا بأس بها من أمثال الوضع في الفضائل فعلى سبيل المثال لا الحصر والتقييد:

ما ذكره في آخر سورة آل عمران، حيث قال: .. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أماناً على جسر جهنم)، وعنه عليه الصلاة والسلام: (من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة، صلى الله عليه وملائكته، حتى تحجب الشمس) .

وقال في آخر سورة المائدة : وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا) [29] .

وذكر في فضل الفاتحة :

وعن حذيفة بن اليمان: أن النبي صلى الله عليه وسلم : قال: (وإن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب

(الحمد لله رب العالمين)، فيرفع الله عنهم العذاب أربعين سنة) .

لقد ذكر الزمخشري [30] والطبرسي [31] والفيروز آبادي [32] في فضل سورة العنكبوت من حديث أَبَيٍّ بن كعب عن النبي عليه الصلاة والسلام: (من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين).

وهو حديث موضوع . أما ابن حجر فيقول فيه: أخرجه الثعلبي في تفسير سورة العنكبوت من رواية عباد بن المنصور عن الحسن مُرسلاً [33]، وإن التكلف في متنه ظاهر، ولا أدري ما حكمة ربط الأجر بعدد المؤمنين والمنافقين .

---

[26] الإسرئيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص. 307، لمحمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، 1988م.

[27] هو أبو إسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري، إمام حافظ، كان أحد أوعية العلم، له كتاب (التفسير الكبير). توفي سنة 427 هـ، انظر سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 436/17 - 437.

[28] الإسرائيليات، ص. 309 .

[29] المرجع السابق، ص. 310 .

[30] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 213/3، وغريب أن يصدر عن الزمخشري، وهو معتزلي المعروف بشدة اهتمامه بالعقل وحكمه مثل هذه الأقاويل.

[31] مجمع البيان، 10 أجزاء، للفضل بن الحسين الطبرسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1397هـ، 217/8.

[32] بصائر ذوي التمييز، 6 مجلدات، لمجد الدين الفيروز آبادي، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، 364/1 .

[33] الكاف والشاف في تخريج أحاديث الكشاف، لأحمد بن علي ابن حجر، المكتبة التجارية، مصر، مطبوع على هامش الكشاف، 1354هـ، 128/4 .

ومما ورد من الموضوع ما ذكره الحويزي في كتابه المسمى تفسير سور الثقلين عن أبي عبد الله: (من قرأ سورة العنكبوت والروم في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين فهو والله يا أبا محمد من أهل الجنة، لا أستثني فيه أبداً ، ولا أخاف أن يكتب الله عليَّ في يميني إثماً وإن لهاتين السورتين من الله مكاناً)[34] .

وفي تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم. نشاهد كذلك بعض الأمثلة في فضائل القرآن سورة سورة وهي موضوعة باتفاق أهل العلم بالحديث، مثل الحديث الذي ذكره في فضل سورة الفاتحة . حيث قال:

إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتماً مقضياً، فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب "الحمد لله رب العالمين" فيسمعه الله، فيرفع عنهم العذاب أربعين سنة.

وكما هو واضح أنه أقتبس هذا الحديث المختلق .. من سابقه الزمخشري كما ذكرناه في الحديث آنفاً .

والقرآن غني عن الوضع لترغيب الناس فيه حيث أن هناك أحاديث في غاية الصحة في الفضائل يكفى الواحد منها دلالة على فضيلة القرآن ومن أمثال ما صح:

1. أقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، رواه مسلم.[35]

2. من قرأ حرفاً من القرآن فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألف،لام، ميم، حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف. رواه الترمذي.[36]

ومن الأمثلة على فضائل السور:

1. من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة كفتاه، رواه البخاري ومسلم.[37]

2. أوتيت هذه الآيات من سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي، أخرجه النسائي وأحمد .[38]

3. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب : ألا تحب أن أعلمك سورة لم تنزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال خاتمة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته، أخرجه الترمذي قال حديث حسن صحيح، والنسائي، والحاكم، وصححه على شرط مسلم.[39]

الوضع في أسباب النزول :

إن أكثر ما وقع في كتب التفسير من الموضوعات كان مما يتعلق بأسباب النزول كذلك.

والأمثلة عليها كثيرة في كتب التفسير:

فمن ذلك: ما روي في سبب نزول قوله تعالى: {وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون}،[40] فقد روي عن ابن عباس: أنها نزلت في عبد الله بن أُبي[41] وأصحابه، حينما خرجوا ذات يوم، فاستقبلهم نفر من الصحابة، فقال ابن أُبي: انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم، فأخذ بيد الصديق، فقال: مرحباً بالصديق: سيد بني تميم، وثاني رسول الله في الغار، وأخذ بيد عمر، فقال مرحباً

---

[34] تفسير سور الثقلين، 4 مجلدات، لعبد علي الحويزي، 147/4؛ نقلاً عن تفسير سورة العنكبوت، للدغامين زياد، رسالة دكتوراه غير مطبوعة، ص. 310 .

[35] صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: 3، 1404هـ-1984م: 197/2.

[36] تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى، للإمام أبي العلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع، ط: 3، 1399هـ- 1979م، 226/8.

[37] فتح الباري، دار الحديث 1978م، 55/9 و تحفة الأحوذى، 188/8.

[38] رواه أحمد والطبراني فى الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح، مجمع الزوائد للهيثمى، ص.6.

[39] تحفة الأحوذى، 179/8.

[40] البقرة: 14 .

[41] ويعرف بابن سلول، وكان منافقاً مشهورا، مات سنة 9 هـ. انظر سير أعلام النبلاء، 321/1-322.

بالفاروق، ثم أخذ بيد علي، فقال: مرحباً بابن عم النبي وختنه،[42] سيد بني هاشم ماخلا رسول الله، ثم افترقوا، فقال ابن أبي لأصحابه: انظروا كيف أرد هؤلاء، فإذا قابلتموهم ، فافعلوا مثل ما فعلت .

وهو من رواية السدي[43]: -أي الصغير-، عن الكلبي[44] عن أبي صالح[45]، عن ابن عباس ،قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: هو سلسلة الكذب لا سلسلة الذهب ،وآثار الوضع لائحة عليه وسورة البقرة: نزلت في أوائل الهجرة، وتزوج علي بفاطمة كان في السنة الثانية [46] . وقد ذكر هذا السبب الثعلبي، والواحدي ،والزمخشري ، والنسفي في تفاسيرهم ولم ينتبه أحد منهم إليه وتنبه له ابن جرير فلم يذكره، وكذا ذكره السيوطي في الدرر [47] .

ومن ذلك : ما ذكره بعض المفسرين في سبب نزول قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا} الآية [48] .

فقد روى أبو نعيم[49] - في الدلائل - من رواية محمد بن مروان السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، قال: (راعنا بلسان اليهود: السب القبيح، فكانت اليهود تقولها لرسول الله سراً، فلما سمعها الصحابة أعلنوا بها، فكانوا يقولونها، ويضحكون منها فسمعها سعد بن معاذ منهم، فقال: لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه فنزلت) .

قال الحافظ ابن حجر في تخريجه: السدي الصغير متروك، وكذا شيخه، أقول وهي سلسلة كذب ما تقدم، وقد ذكر هذا الزمخشري، والبيضاوي، والآلوسي، وغيرهم [50]، على انه حديث صحيح يعتّد به.

ومن ذلك: ما ذكره المفسرون: كالزمخشري(528 هـ)[51]

والنسفي(710 هـ)[52]، والخازن(725 هـ)[53]، وغيرهم في سبب نزول قوله تعالى: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون}[54]، فقد ذكروا : أنها نزلت في سيدنا علي-رضي الله عنه- حينما مر به سائل ، وهو في الصلاة، فطرح له خاتمه ،وقد حكم عليه ابن الجوزي بالوضع، كما حكم عليه بالوضع أيضاً : الإمام ابن تيمية وأثر التشيع ظاهر عليه، وجميع أسانيده لا تخلو من ضعف وجهالة[55] إذ المعروف عن الصحابة -رضوان الله عليهم-: أنهم ما كانوا يشتغلون في الصلاة بغيرها ، بل كانوا في غاية الخشوع والاستغراق في الصلاة.[56]

الوضع في العقيدة

فالمقصود بالعقيدة هنا أصول الدين، ومسائل الاعتقاد وقضايا التوحيد.

ولاشك أن من أكبر أساليب الكيد والمكر للإسلام وأهله، وأكبر أبواب الضلال والشر انتحل حديث النبي واختلاقه وخاصة إذا كان موضوع هذا الانتحال هو في مسائل العقيدة وأصول الدين، وذلك أن قول النبي تشريع وما يخبر به عقيدة يجب الإيمان بها، ولذا قال صلى الله عليه وسلم "إن كذبا علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" رواه مسلم عن المغيرة بن شعبة وهو حديث متواتر جاء عن

---

[42] يعني زوج ابنته السيدة فاطمة -رضي الله عنها .

[43] هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، الإمام المفسر، مات سنة 127 هـ. أنظر سير أعلام النبلاء، 264/5 - 265.

[44] هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي، المفسر، شيعي متروك الحديث، توفي سنة 146 هـ. انظر سير أعلام النبلاء، 248/6 - 249.

[45] هو أبو أحمد القاسم بن أبي صالح، إمام حافظ توفي سنة 338 هـ. انظر سير أعلام النبلاء، 388/15 - 389.

[46] انظر كيف نقد الحافظ القصة من جهة السند والمتن ، وهذا يرد مزاعم المستشرقين وأتباعهم من أنهم عنوا بنقد السند دون المتن .

[47] المرجع السابق، ص. 312 .

[48] البقرة : 104 .

[49] هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، إمام حافظ، ثقة علامة، شيخ الإسلام، ولد سنة 336 هـ، له مصنفات كثيرة جداً منها كتابه "حلية الأولياء" مات سنة 460 هـ. انظر سير أعلام النبلاء، 17/ 453 وما يليها حتى ص. 464.

[50] الإسرائيليات، ص. 313 .

[51] الكشاف، 649/1.

[52] تفسير الخازن المسمى بلباب التأويل فى معانى التنزيل بهامشه تفسير النسفى، دار الفكر، 434/1.

[53] المرجع السابق، 432/1.

[54] المائدة: 55 .

[55] تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، مكتبة الدعوة الإسلامية، 1400هـ، 3 / 183 .

[56] الإسرائيليات، ص. 314 .

أكثر من ستين صحابيا، فقول الرسول عقيدة وشريعة وتصديقه واجب والعمل به فرض لازم كما قال تعالى" وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" وقال تعالى" أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لمن وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما" والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا.

وهذا القسم خاص بالشيعة غالباً حيث أنهم وضعوا أحاديث لنصرة عقائدهم، والأمثلة متوفرة في كتبهم وتفاسيرهم بالأخص.

وأما الخوارج فلا نجد فيهم من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضع الأحاديث لأنهم على النقيض من الشيعة قالوا بعدم قبول توبة ذوي الكبائر، والكذب من الكبائر، فلم يجرب عليهم الكذب قط[57] .

وجاء في الوافي للكليني باب ما نزل فيهم وفي أعدائهم عن محمد بن اورمة وعلي ابن حسان[58] بسند يتصل بالإمام الصادق أنه قال: إن الآية {الذين آمنوا ثم كفروا، ثم آمنوا، ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم} نزلت في فلان وفلان وفلان، آمنوا بالنبي (صلى الله عليه وسلم) في أول الأمر وكفروا حيث عرضت عليه الولاية حين قال النبي (صلى الله عليه وسلم) من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ثم آمنوا في البيعة لأمير المؤمنين، ثم كفروا حيث مضى رسول الله فلم يقروا له بالبيعة وازدادوا كفراً بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم، فلم يبق فيهم من الإيمان شيء .

وجاء فيه عن صباح المرني عن جابر الجعفي[59] عن الإمام محمد الباقر[60] رواية بهذا المضمون جاء فيها: ان الناس لما بايعوا أبا بكر لبس ابليس تاج الملك ونصب منبراً وقعد في خيله وألويته وأمرهم أن يطربوا، وأضاف إلى ذلك الراوي أن الإمام الباقر فسر الآية: {ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه} ببيعة أبي بكر رضي الله عنه.

لقد ورد في سند هذه الرواية صباح المرني وجابر الجعفي وهما ضعيفان وقد ورد في جابر قدح ومدح ، والأكثر على أنه كان مخلطا، وتشير بعض المرويات عن الإمام الصادق أنه كان لا يرتضيه، وعلى أي الأحوال فلا يستطيع الباحث في التاريخ أن يخرج وبين يديه حكم ببراءته ولو من بعض ما نسب إليه.

وروى بن أورمة بنفس السند عن الإمام الصادق كما جاء في الوافي أنه قال في تفسير الآية: {إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى} هم فلان وفلان وفلان ، فقد ارتدوا عن الإيمان في ترك ولاية علي وأن الآية: {ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله سنطيعكم في بعض الأمر} نزلت والله فيهم وفي أتباعهم .

إن هذه المرويات وأمثالها من التفسير الباطني المنسوب إلى محمد بن أورمة وعلي ابن حسان ويونس بن ظبيان وأمثالهم من المتهمين بالغلو والانحراف ، وقد ضعفهم المؤلفون في الرجال وتوقفوا عن مروياتهم، ويكفي هذه المرويات عيباً روايتها عن طريق هؤلاء بالإضافة إلى عيوبها الأخرى [61]. وجاء في الوافي عن محمد بن الحسين عن الحكم بن مسكين عن إسحاق بن عمار عن رجل عن أبى عبد الله في تفسير قوله تعالى :(إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) أنه قال : الأمانة هي ولاية علي بن أبي طالب[62] . وروي في الوافي عن علي بن الحكم عن

---

[57] انظر: أثر التطور الفكري في التفسير، ص. 111، على أن في الخوارج أقواماً قالوا بالتقية، فالنجدات منهم (أتباع نجدة بن عامر) أجازوا التقية في القول والعمل، إن كان في قتل النفس، قارن: الاشعري، مقالات الإسلاميين، ص. 162.
الشهرستاني، الملل والنحل، ص. 165.

[58] هو أبو الحسن علي بن حسان بن القاسم الجدلي الديمي، توفي سنة 383 هـ. انظر سير أعلام النبلاء، 174/16.

[59] هو أبو عبد الله جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث بن كعب بن الحارث بن معاوية بن وائل بن مرني الجعفي، من أهل الكوفة، مات سنة 128 أو 127 هـ، شيعي مغال في التشيع. أنظر أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، تأليف عبد العزيز محمد نور ولي، ص 74 - 80، ط 1.

[60] هو السيد الإمام أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي، ولد سنة 56 هـ، ولقد كان إماما مجتهدا، مات سنة 114 بالمدينة وقيل سنة 117 هـ. انظر سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 401 - 409.

[61] الموضوعات في الآثار والأخبار، هاشم معروف الحسني، دار الكتب اللبنانية، ص. 187 .

[62] المرجع السابق، ص. 187 .

المفضل بن صالح عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر أن الآية :(ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً) أنه عهد إلى آدم بولاية محمد والأئمة من ولده، فترك ولم يكن له عزم على ذلك [63] .

وأضاف إلى ذلك أن الآية: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق} نزلت في علي وأن الهدى ودين الحق هما ولاية علي بعد رسول الله، {والله متم نوره ولو كره الكافرون) أي متمه بولاية علي.

ومضى الراوي يقول : وأن الآية: (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله) تعني أنهم إذا قيل لهم ارجعوا إلى ولاية علي يستغفر لكم رسول الله (لوّوا رؤسهم واستكبروا) عن ولايته، وأن الآية: (أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم) قد ضربها الله مثلاً لمن حاد عن ولاية علي أمير المؤمنين، فهو يمشي مكباً على وجهه لايهتدي لأمره، ومن يتبع علياً يمشي على الصراط المستقيم وهو نفسه الصراط المستقيم.

وروي عن سلمة بن الخطاب عن الحسين بن عبد الرحمن عن علي أبي البصير عن الإمام الصادق في تفسيره قوله تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) أنه قال من أعرض عن ولاية علي يحشر يوم القيامة أعمى القلب والبصر عن الولاية ، وأضاف إلى ذلك الإمام على حد زعم الراوي أن من أعرض عن الولاية يبقى متحيراً يوم القيامة فيقول لربه:

(لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً) فيأتيه الجواب لأنك نسيت آياتنا وهم الأئمة وكذلك اليوم تنسى وتترك في نار جهنم كما تركت الأئمة واتبعت غيرهم،

(وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أي أن من أشرك بولاية أمير المؤمنين وترك الأئمة ولم يتبع آثارهم، ومن كان يريد حرث الآخرة، أي معرفة أمير المؤمنين والأئمة نزل له منها أي يستوفي نصيبه من دولتهم ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ، أي ليس له نصيب من دولة الحق عند ظهور القائم[64] .

الوضع في القراءات

ومن الموضوعات التي اشتملت عليها بعض كتب التفاسير: كالزمخشري، والنسفي، القراءات الشاذة التي تنسب إلى الإمام أبي حنيفة، وهو بريء منها، ولكنها اختلقت. وقد بين ذلك الإمام الخطيب البغدادي في تاريخه، والإمام الذهبي في طبقات القراء، وابن الجزري في الطبقات أيضاً .

وواضعها هو: محمد بن جعفر الخزاعي، المتوفي سنة سبع وأربعمائة ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي ، قال الذهبي في الميزان في ترجمة: (محمد بن جعفر) هذا: ألف كتاباً في قراءة الإمام أبي حنيفة، فوضع الدارقطني خطه عليه، بأن هذا موضوع لا أصل له، وذلك مثل قوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) برفع لفظ الجلالة، ونصب لفظ العلماء، وإذا كانت موضوعة فلا حاجة للتكلف بتصحيح معناها كما فعل الزمخشري في تفسيره [65] .

الوضع في القصص القرآني

إن القصص أكثر ما تكلم العلماء فيها وخاصة حول وقوع الأخبار الموضوعة فيها، حتى ادعى بعضهم بندرة النقل الصحيح في القصص القرآنية .

يقول السيوطي[66] عند ذكر أسباب ذكره العلماء للقصص: أن القصص لأخبار المتقدمين يندر صحتها، خصوصاً ما ينقل عن بني إسرائيل، وما يذكر في قصة داود، ويوسف من المحال الذي ينزّه عنه الأنبياء،

---

[63] المرجع السابق، ص. 230.

[64] المرجع السابق 232، وقد أسهب كولدزيهر في تعداد صور الانحراف هذه، والناتج عن التأويلات الباطنية التي أحالت كتاب الله الخالد إلى ركام من السفاسف، انظر: كولدزيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، الفصل الخاص بتفسير (الفرق) الترجمة العربية للدكتور، عبد الحليم النجار (بغداد 1955، ص 286) وما بعدها وأبان حجة الإسلام الإمام الغزالي عن التشويه الذي أصاب نصوص الكتاب العزيز بسبب من هذه التأويلات الباطنية الفاسدة، انظر: الغزالي، فضائح الباطنية، حققه وقدم له د. عبد الرحمن البدوي - للدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، 1383هـ.

[65] فقد فسر الآية بأنه يجلهم ويعظمهم فهو تفسير منقول حتماً عن الإسرائيليات، ص. 332 .

[66] هو أبو عبد الرحمن بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن همام الدين، المصري الشافعي، ولد سنة 849 هـ ومات سنة 911 هـ. أنظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، 121/5 وما بعدها، مطبعة الترقي بدمشق.

بحيث إذا سمعها الجاهل هانت عنده المعاصي .[67] ولعل أبرز ما اشتهر بالوضع في القصص من المفسرين ابو اسحق الثعلبي (427هـ) وعلاء الدين خليل الشيحي المعروف بالخازن (741هـ).

هناك أمثلة كثيرة على وقوع الوضع في التفاسير حول القصص القرآنية منها:

قوله تعالى في سورة الفجر: (إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد) قال ابن عباس في رواية عطاء : كان الرجل منهم طوله خمسمائة ذراع، والقصير منهم طوله ثلثمائة ذراع بذراع نفسه، ورُوي عن ابن عباس أيضاً أن طول الرجل منهم كان سبعين ذراعاً، قال ابن العربي: وهو باطل؛ لأن في الصحيح: إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعاً في الهواء، فلم يزل الخلق ينقُص إلى الآن[68].

وفي الحديث عن ذي القرنين أورد ابن جرير[69] حديثاً علق عليه ابن كثير قائلاً:

وقد أورد ابن جرير ههنا والأموي في مغازيه حديثاً أسنده وهو ضعيف عن عقبة بن عامر أن نفراً من اليهود جاءوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء فكان فيما أخبرهم به أنه كان شاباً من الروم وأنه بنى الإسكندرية وأنه علا به ملك في السماء وذهب به إلى السد، ورأى أقواماً وجوههم مثل وجوه الكلاب، وفيه نكارة ورفعُهُ لا يصح. وأكثر ما فيه أنه من أخبار بني إسرائيل، والعجب أن أبا زرعة الرازي مع جلالة قدره ساقه بتمامه في كتابه دلائل النبوة. وذلك غريب منه، وفيه من النكارة أنه من الروم وإنما الذي كان من الروم الإسكندر الثاني[70] وهو ابن قيليس المقدوني الذي تؤرخ به مملكة الروم، فأما الأول فقد ذكر الأزرقي وغيره أنه طاف بالبيت مع إبراهيم الخليل عليه السلام أول ما بناه وآمن به واتبعه وكان وزيره الخضر عليه السلام، وأما الثاني فهو اسكندر بن قيليس المقدوني اليوناني وكان وزيره ارسطا طاليس[71] الفيلسوف المشهور.

يعلق عليه ابن كثير قائلا: وهو الذي تؤرخ من مملكته الروم وقد كان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة، فأما الأول المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل كما ذكره الأزرقي وغيره وأنه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت العتيق لما بناه إبراهيم عليه السلام وقرب إلى الله قرباناً ، وقد ذكرنا طرفاً صالحاً من أخباره في كتاب البداية والنهاية بما فيه كفاية ولله الحمد [72].

وابن جرير يروي في تفسيره غرائب كثيرة ثم لا يتعقبها بنقد، اكتفاءً بذكر أسانيدها، ومن هذه الغرائب التي لا يتعقبها بنقد، ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (38) من سورة هود عليه السلام: (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه، قال إن تسخروا منا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون) فقد قال:

"حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج عن مفضل بن فضالة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: قال الحواريون لعيسى ابن مريم: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها، قال: فانطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كثيب من تراب، فأخذ كفاً من ذلك التراب بكفه قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا كعب حام بن نوح، قال: فضرب الكثيب بعصاه، قال: قم بإذن الله، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب، قال له عيسى: أهكذا هلكت؟ قال: لا، ولكن مت وأنا شاب، ولكني ظننت أنها الساعة، فمن ثم شبت.

قال: حدثنا عن سفينة نوح، قال: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات: فطبقة فيها الدواب والوحش، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير، فلما كثر أرواث الدواب

---

[67] تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق : الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، 270 .

[68] تفسير القرطبي، مؤسسة مناهل العرفان، مكتبة الغزالي، 10/2 ص. 45 .

[69] هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، إمام مفسر، مقرئ محدث، مؤرخ فقيه أصولي، ولد سنة 224 هـ وتوفي سنة 310 هـ. أنظر ترجمة الطبري في تفسيره "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، دار الفكر، بيروت، لبنان.

[70] قائد عسكري عبقري وملك مقدونيا اليوناني، ولد سنة 356 ق. م.، تسلم الحكم عام 336 ق. م. في نفس السنة انطلق في حملة عظيمة فانتصر على الفرس ثم أخضع الهند والشعوب البربرية شمال مقدونيا، كما خضع له الشاطئ السوري والمصري، مات بالحمى سنة 323 ق. م. أنظر موسوعة السياسة، 185/1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، 1985 م.

[71] ولد ارسطاطاليس سنة 384 ق. م. في أسطاغيرا، يعتبر من نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني، تتلمذ على يد أفلاطون، توفي سنة 321 ق. م. أنظر موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، 72/1، إعداد الأستاذ روني إيلي ألفا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

[72] تفسير ابن كثير، 100/3 .

أوحى الله إلى نوح: أن اغمز ذنب الفيل، فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة، فأقبلا على الروث، فلما وقع الفأر بحبل السفينة يقرضه، أوحى الله إلى نوح: أن اضرب بين عيني الأسد، فخرج من منخره سنور وسنورة، فأقبلا على الفأر.

فقال له عيسى: كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت؟ قال: بعث الغراب يأتيه بالخبر، فوجد جيفة فوقع عليها، فدعا عليه بالخوف، فلذلك لا يألف البيوت، قال: ثم بعث الحمامة، فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجلها، فعلم أن البلاد قد غرقت قال: فطرقها الخضرة التي في عنقها، ودعا لها أن تكون في أنس وأمان، فمن ثمّ تألف البيوت، قال: فقلنا: يا رسول الله، ألا ننطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا؟ قال: كيف يتبعكم من لا رزق له؟ قال: فقال له: عد بإذن الله! قال: فعاد تراباً"[73].

ونتابع تفسير الجلالين عند تفسير آية (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) فقد روي عن قتادة وابن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بيت زيد في غيبته فرأى زينب في زينتها، وفي رواية: أن الريح كشفت عن سِتر بيتها، فرآها حسنة، فوقع حبها في قلبه فرجع وهو يقول: سبحان الله العظيم، سبحان مقلب القلوب، فلما حضر زيد أخبرته بكلام رسول الله، فذهب زيد، وقال بلغني أنك أتيت منزلي، فهلا دخلت يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك، فأفارقها، فقال له رسول الله: أمسك عليك زوجك، واتق الله، فنزلت الآية . وقد ذكر هذا السبب في تفسير الجلالين، وفسر المفسر الجلال الآية على هذه الرواية، فيقول: وتخفي في نفسك ما الله مبديه -تظهر من محبتها- وأن لو فارقها زيد تزوجتها، وذكر مثله الزمخشري، والنسفي، وابن جرير، والثعلبي، وغيرهم، إلا أن ابن جرير ذكر بجانب هذا الباطل المدسوس رواية تتفق مع الواقع والحق، وذكر مثل هذه الروايات الباطلة ، التي ليس لها شاهد من نقل ولا عقل ،غفلة شديدة ،وإن كان من أبرز سنده تبعته أخف، وهذه الرواية إنما هي من وضع أعداء الدين، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم متهم بالكذب، والتحديث بالغرائب، ورواية الموضوعات[74].

وفي الحديث عن قصَّة يوسف عليه الصلاة والسلام أورد المفسرون عجائب ما لا تليق بعصمة النبي، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق ولا أريد أن أطيل في الموضوع بذكر الأباطيل ومن أراد الإلمام بهذا فليطالع في ذلك تفسير الزمخشري، وابن عطية، والخازن وغيرها . وخاصة ما جاء في "البرهان" الذي رآه يوسف عليه السلام فهو ليس إلا ما آتاه الله من العلم والبصيرة والتيقن بتحريم هذا الأمر الذي كان مبتلياً به . أجد صعوبة في فهم ما وصف به بعض المفسرين هذا النبي من عجائب حتى جعلوه يمتنع عن هذه الفعلة القبيحة بعد المعجزات الباهرة الظاهرة .

آثار الوضع في التفاسير

إن أمثال هذه الروايات الباطلة التي عرضناها على سبيل المثال فقط وهي منتشرة في كتب التفاسير، لها آثار سلبية هي:

1-تشويه العقلية الإسلامية

أعتقد أن من أهم آثار الوضع في التفاسير تشويه العقلية الإسلامية المسترشدة بالوحي الإلهي. حيث أن الوضع قد أثر في هذه العقلية سلبيا على مرور القرون حتى وجدنا أناساً يقبلون هذه المرويات الموضوعة دون أن يقيسوها ويزنوها بالعقل والمنطق، بل ينقلوها في دراساتهم و بحوثهم العلمية مستدلين بها على ما استنتجوا من النتائج.

و ما جاء في فضائل السور والآيات من الوضع ليست إلا تشويها للعقلية .فمثلا ما ذكره الثعلبي في صدر سورة هود عن أبي بن كعب، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة هود أعطي الأجر عشر حسنات بعدد من صدق نوحاً، وهوداً، وصالحاً، ولوطاً، وموسى. ولا أستطيع أن أدرك الحكمة في تعيين

---

[73] تفسير الطبري، جامع البيان من تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، لبنان، طبعة 1405هـ، 22/12 .

[74] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار الفكر، بيروت، لبنان: 23/22، ط المنيرية، الطبري، 3/ 491.

هؤلاء الأنبياء عليهم السلام دون غيرهم. والتكلف ظاهر في الحديث و يتعارض مع العقل والمنطق و روح الشريعة.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الزمخشري في آخر سورة آل عمران، حيث قال: .. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أماناً على جسر جهنم . وإن وافقنا على صحة القول لمن يقرأ هذه السورة له أمان بكل آية منها، ألا يسأل السائل: أما يكفى أمان من الله الواحد للمرور على هذا الجسر، حتى يحتاج إلى عدد من هذه الأمانات؟!

ومثلا ما جاء في فضل سورة العنكبوت ما ذكره الحويزي في كتابه المسمى تفسير سور الثقلين عن أبي عبد الله: من قرأ سورة العنكبوت والروم في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين فهو والله يا أبا محمد من أهل الجنة ، لا أستثني فيه أبداً ، ولا أخاف أن يكتب الله عليَّ في يميني إثماً وإن لهاتين السورتين من الله مكاناً [75]. أمر فى غاية العجوبة والهزل. والحكم في الحديث مطلق كما هو ظاهر ولا حاجة للتأويل لمن يقرأ هاتين السورتين، أنه داخل الجنة ولو لم يلتزم بأوامر الله حيث أن الواضع للحديث لا يستثنى أحدا.

ما ذكره عن أبي عبد الله : من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين[76]. وقد يسأل السائل أيضا لم خصت عدد الحسنات بكل المؤمنين والمنافقين. والسورة ليست مدنية حتى نربط العلاقة بالمنافقين أولا، وأن التكلف في متنه ظاهر وما حكمة ربط الأجر بعدد المؤمنين والمنافقين.

وما ورد في سبب نزول قوله تعالى: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون}[77]، فقد ذكروا [78]: أنها نزلت في سيدنا علي رضي الله عنه حينما مر به سائل، وهو في الصلاة، فطرح له خاتمه، و إن قبلنا سبب نزول الآية على إطلاقه دون تحر في صحته لوقعنا في إشكال حيث أن أثر التشيع ظاهر عليه كما قال الإمام ابن تيمية ، كما حكم عليه بالوضع أيضا ابن الجوزي: جميع أسانيده لا تخلو من ضعف وجهالة [79] والمعروف عن الصحابة رضوان الله عليهم: أنهم ما كانوا يشتغلون في الصلاة بغيرها ، بل كانوا في غاية الخشوع والاستغراق في الصلاة[80] .

2- انصراف العقل المسلم إلى الجزئيّات

إن الإسلام دين الحياة، وما جاء من الأحكام هي توجيهات و إرشادات للبشر ليهتدوا إلى ما يليق بعزة الإنسان وكرامته .

والقرآن كتاب الهداية للبشر.من هنا أن ما جاء في الكتاب هو ما ينبغي ذكره لغرض نزوله فقط ولا توجد آية ولا كلمة إلا ولها مقصود، بل الحرف في القرآن له وظيفة و رسالة يؤدّيها، ولا ينبغي صرف هذه الآيات إلى غير ما تحملها من المعاني. والمخاطب بالقرآن لا يجوز أن ينشغل بأمور تافهة ليست لها قيمة علمية أو فائدة ذكرها، فما سكت عنه القرآن من المبهمات مثلا، نسكت عنه ولا نحاول أن نغوص فيه حتى لا نضيع أوقاتنا وننصرف إلى الجزئيات ما دام لم يرد فيه نقل صحيح من الآثار.

من هنا فإنّ ما ورد من الوضع في التفاسير من هذا القبيل، قد سبب انصراف العقل المسلم عما ينبغي له الاشتغال به من الأساسيات في التوجيهات الربانية إلى جزئيات لا تغني عن الحق. وإذا ما التفت القارئ إلى أهداف القرآن الأساسية من: هداية إلى الله، وإيجاد الشخصية الإسلامية، وبناء المجتمع القرآني الأصيل فسيدور حول الآيات بنظرة جانبية ثانوية فرعية مثل ما ورد في الحديث عن ذي القرنين الذي سبق ذكره، إذ لا حاجة للمخاطب بالقرآن إلى قراءة أمثال هذه الأخبار المنتحلة. لأنها لا تغني شيئا، ولا حاجة لذكرها [81].

---

[75] تفسير سور الثقلين، مرجع سابق، ص. 310 .

[76] أحمد بن علي إبن حجر، الكاف والشاف في تخريج أحاديث الكشاف، مصر، المكتبة التجارية، مطبوع على هامش الكشاف 1354، 28/4 .

[77] المائدة: 55.

[78] الكشاف، مرجع سابق، 649/1، تفسير الخازن، مرجع سابق، 434/1.

[79] تفسير ابن كثير، 3/ 183 .

[80] الإسرائيليات، مرجع سابق / 314 .

[81] الفرق الجوهري ان القصص القرآني إنما قصد بها بداءة الموعظة والاعتبار ومن ثم فلا يلتفت القرآن الكريم إلى الجزئيات التي تتنافى مع العلم الحق، وما ورد في الأمثلة السابقة عن الاخبار مستقاة برمتها وفي مجموعها من التوراة الذي فصل في مثل هذه الجزئيات وأسرف فيها وللمقارنة بين الصورتين، انظر : العهد القديم - سفر التكوين [الطوفان]: 5/6. وأيضاً العهد القديم - سفر الخروج

كذلك الكلام عن لون كلب أهل الكهف، واسمه، وعن عصا موسى من أي شجر كانت، وعن اسم الغلام الذي قتله الخضر، وعن طول سفينة نوح، وعرضها وارتفاعها، وأسماء الحيوانات التي حملت فيها وغير ذلك مما طواه القرآن الكريم وسكت عنه لعدم وجود فائدة تعود على المسلمين من ذكرها أو معرفتهم مقيدة يزدادون علماً بها [82].

3- الارتياب في صحة الدين

كما مرّ معنا في المباحث السابقة فإن بعض المفسرين استخدم الأخبار الموضوعة في شرح نصوص القرآن وأدى هذا إلى إفساد عقائد المسلمين. إن قبول آراء أصحابها المكذوبة نسبتها إلى غيرهم جعل كثيراً من المفسرين ينقلونها كما هي ظناً منهم أنها صحيحة، واشتهرت هذه الأخبار لكثرة تناولها من الباحثين فأدى هذا إلى الخلل في فهم النصوص وغياب الفهم الواعي لها وإفساد عقائد المسلمين والارتياب في صحة الحديث.

4- إساءة الظن في براءة الأنبياء

إن ما جاء من أخبار موضوعة في التفاسير قد أدت إلى تشويه سمعة الأنبياء والمرسلين ونفي العصمة عنهم، وتصويرهم في صورة من استبدت بهم شهواتهم ودفعتهم إلى اقتراف فضائح لا تليق بإنسان عادي دع عنك ان يكون نبياً مرسلاً .

والأمثلة كثيرة على هذا النوع من الموضوعات ويكفينا دليلاً ما جاء في قصة زينب رضي الله عنها، وجاءت هذه القصة في كتب التفسير بروايات متعددة قد سبق ذكرها في الفصول السابقة، منها ما ذكره الألوسي في تفسيره[83] كذلك أوردها ابن جرير في تفسيره[84] ويقول الأستاذ الشيخ محمد أبو شهبة: "إن هذه القصة من وضع يوحنا الدمشقي في العهد الأموي، فقد دس ذلك النصراني أن معنى الآية: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى زينب زوج زيد في حال أثارت عشقه فعشقها، وأراد زواجها، فراجت تلك الفرية بين تابعي التابعين أنفسهم حتى جاءت على لسان قتادة منسوبة إليه، وقبلها ابن جرير، ولم يردها فخر الدين الرازي، فكانت بلا شك من أعظم الافتراءات وهي تتجافى عن نسق الآية وعن خُلق النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يثبت في الصحاح شيء من هذا، ولم ينسب هذا التخريج لأحد من الصحابة بطريق يُقبل مثله" ا هـ.[85]، ومما يدعو إلى الاستغراب والدهشة أنْ يورد المفسرون هذه الأقاويل عن الأنبياء وينسبوا إليهم المعاصي والكبائر، مع إن عقيدة المسلمين المجمع عليها هي :

تنزيه الأنبياء؛ وتوكيد عصمتهم، وهذه الفرية جاءت من مسلمة اهل الكتاب خاصة مسلمة اليهود، فالتوراة ينسب إلى العديد من الأنبياء الكبائر كالزنا وشرب الخمر والزنا بالمحارم .[86]

5-عدم الثقة بما جاء في كتب التفسير عن المواضيع الآنفة الذكر:

إن ما جاء من أمثلة الوضع قد شوّهت واقعية الدين الإسلامي الحنيف بصورة لا يقبلها العقل السليم وكان لها أثر سيئ في التفاسير ،لأنها تصور الإسلام في صورة دين خرافي يعنى بترهات وأباطيل لا أصل لها كان من نسج عقول ضالة وخيالات مضللة. ومن أمثلة ذلك ما يروى في صفة آدم عليه السلام من أن رأسه

37/12 [رحيل بني إسرائيل] . وأيضاً العهد القديم - سفر التكوين 39 - [يوسف في مصر]. ففي هذه الأسفار وردت التشنيعات التي أخذ بها بعض المفسرين تحت تأثير الاسرائيليات التي نفذت إلى بنية التفسير .

[82] الإسرائيليات، ص. 24.

[83] تفسير الألوسي، 22/ 23.

[84] تفسير الطبري، 491/3.

[85] الإسرائيليات، المرجع السابق، ص. 14.

[86] انظر: التوراة سفر التكوين 30/19: إن لوطاً زنى بأبنتيه . التوراة سفر التكوين : 21/1 وأنّ داود زنى بأمراة فحملت منه سفاحاً. التوراة سفر الملوك الأول 7/11 ردة سليمان عن الوحدانية بترغيب من زوجاته الأجنبيات. التوراة سفر يوشع 2/1؛ تزوج يوشع من زانية، قال الرب لهوشع: "خذ لك إمرأة زنى" ومثل هذا كثير في التوراة ، ومن هنا تفصيل علماء العقيدة في العصمة ،والاستدلال عليها بحجج العقل، بخاصة شيوخ المعتزلة، فاثبات عصمة الأنبياء من متممات مبحث النبوة في كتب اصول الدين عامة، انظر: الغزالي، احياء علوم الدين باب قواعد العقائد 100/1. الباقلاني، كتاب التمهيد، ص. 115، الامام الجويني، الأرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد، بتحقيق لوسياني ص. 390.

كان يبلغ السحاب أو السماء ويحاكيها، فاعتراه لذلك صلع ولما هبط على الأرض بكى على الجنة حتى بلغت دموعه البحر وجرت فيها السفن[87].

وكذلك ما يروى في شأن داود عليه السلام من انه سجد لله تعالى أربعين ليلة وبكى حتى نبت العشب من دموع عينيه ثم زفر زفرة هاج لها ذلك النبات[88].

وغيْر هذا مما حمل الناس على الصدود عن النظر في كتب التفسير ولا يثقون بما فيها من الرويات وإن كان صحيحاً . ولا يقبلون شيئاً مما جاء فيها ظناً أنّ جميعها من مصدر واحد ملفق لا أصل له .

[87] تأويل مختلف الحديث، ص 335، وقد روى هذا ابن جرير في تفسيره نقلا عن الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة، ص. 320 .

[88] المرجع السابق، ص. 32 .